الأرض تحترق والجليد يذوب والدلتا قد تغرق

الإرهاب البيئي... خارج السيطرة ؟!

٢-٢

سؤال عريض وحيرة كبيرة تسيطر على الملايين فى مصر من سكان الدلتا، خصوصاً وهم يتابعون التقارير والأنباء التي تنقلها وسائل الإعلام حول غرق الدلتا كأحد الآثار المترتبة على زيادة منسوب مياه البحر المتوسط الأمر الذي يعني غمر المناطق الساحلية في دلتا نهر النيل في مصر بمياه البحر، نتيجة ذوبان الثلوج فى القطبين الشمالي والجنوبي الذي تسببت فيه ظاهرة الاحتباس الحراري. السؤال الذى يردده العلماء قبل بسطاء الناس، هل حقاً ستغرق الدلتا نتيجة تطرف مناخ الكون؟ أم أن هذه مجرد احتمالات وتكهنات؟ وما العمل فى كل الاحوال لتلافى هذه الأخطار وتقليل حدة مخاوف البشر؟

د. سمير محمود

الدكتور احمد عبد الوهاب استاذ علوم البيئة بكلية الزراعة جامعة الزقازيق علق علي الموضوع قائلا: بجانب الانبعاثات الغازية الصناعية، تعتبر الزراعة مسؤولة هي الأخرى عن ثلث ما تتعرض له الكرة الأرضية من حرارة وتغير في المناخ. ومن المتفق عليه عموما أن 25 ٪ من انبعاثات الاحتباس الحراري من الغاز وثاني اكسيد الكربون تخرج من المصادر الزراعية وبخاصة عند ازالة الغابات وحرق الكتلة الاحيائية. وياتي معظم غاز المستنقعات والمناجم الموجود في الجو من الحيوانات المجترة المنزلية وحرائق الغابات واراضي زراعة الأرز المغمورة بالمياه والمنتجات المهملة في حين ان عمليات الحرث التقليدية واستخدام الأسمدة يستأثران بنسبة 70 ٪ من الأكسيد النتري .

و قد توقع تقرير آخر وضعه مركز هادلي زوال الغابات الاستوائية بحلول العام 2050 وتحولها إلي صحراء وسوف تنتشر المجاعة في هذا القرن بسبب ارتفاع درجة الحرارة وتزحزح المناطق النباتية لمسافة تتراوح مابين 400 ـ 640 كيلو متر، وحيث إن الأشجار والنظم البيئية المرتبطة بها لاتستطيع الهجرة إلا بعد عدة قرون فسوف يحدث نقص شديد في الغابات في هذه المناطق أيضًا والتي تعتبر الرئة الأساسية لامتصاص ثاني أكسيد الكربون.

سنوات الغليان

الدكتور مسلم شلتوت استاذ الشمس والفضاء بمعهد بحوث الصحراء بجامعة المنوفية تناول الموضع من زاوية أخرى تتعلق بالطبيعة حيث اكد ان الرياح الشمسية ترفع من درجة حرارة الأرض , وتؤدي بمساعدة المجال المغناطيسي للشمس إلى الحد من كمية الأشعة الكونية التي تخترق الغلاف الجوي للأرض والتي تحتوي على جزيئات عالية الطاقة تقوم بالاصطدام بجزيئات الهواء; لتنتج جزيئات جديدة تعد النواة لأنواع معينة من السحب تساعد علي تبريد سطح الأرض ,وبالتالي فرن وجود هذا النشاط الشمسي يعني نقص كمية الأشعة الكونية , أي نقص السحب التي تساعد علي تبريد سطح الأرض وبالتالي ارتفاع درجة حرارتها .

وانه بجانب غاز ثاني اكسيد الكربون الذي تحقن البيئة بـ 25 مليار طن منه سنويا إضافة لغازات الميثان واكاسيد الكبريت والنيتروجين فإن الانفجارات الشمسية التي يشهدها العالم سنويا والتي أصبحت في دورتها الـ23 هي السبب في رفع درجة حرارة الكون حيث تصل درجة الحرارة على سطحها 6 آلاف درجة.

تطرف المناخ

مخاوف العلماء لا تقف عند حد الدفء العالمي بل تتسع لتحذر من الجفاف والسنوات العجاف، وفي هذا الاطار المخيف توقعت دراسة اجراها خبراء من جامعة بن جوريون الاسرائيلية تحت رعاية اليونسكو ان يواجه الشرق الاوسط فترة جفاف ممتدة في المستقبل القريب, وقال اري ايسار رئيس فريق الابحاث والرئيس السابق لمركز المياه في معهد ابحاث الصحراء بجامعة بن جوريون ان التقييم الذي توصل اليه فريقه بني علي معلومات تاريخية وجغرافية وهيدرولوجية ركزت علي التغيرات المناخية وتأثيرها المرجح علي مصادر المياه العذبة المتجددة في منطقة الشرق الاوسط.

واشار ايسار الي ان ارتفاع درجة حرارة الارض سيحدث انخفاضا بنسبة عشرين في المائة تقريبا علي كم الترسب السنوي للمياه وستكون هناك فترات اطول من الجفاف تشهدها المنطقة, ومن المنتظر الا يحدث توزيع متساو لسقوط الامطار وانه قد تسقط الامطار لفترات قصيرة في منطقة أو أخرى مما يؤدي لحدوث فيضانات علي الرغم من ان الاتجاه العام سيسير نحو التعرض لمواسم شتاء تتسم بقدر اكبر من الجفاف عن الماضي.

تحلية المياه

المخاوف ذاتها حذر منها الدكتور محمد الشهاوي استاذ ورئيس قسم الفلك والارصاد بكلية العلوم جامعة القاهرة سابقا حيث أشار الي ان خطورة الارتفاع الرهيب في درجات الحرارة..

يمكن ان تغير في انظمة الضغوط الجوية العالية وتؤدي لتحريك الهواء والسحب وبالتالي زحزحة احزمة الامطار فتقل كمية المياه العذبة القابلة للاستخدام وهو مايهدد العالم كله.

وحذر الشهاوي من اثار هذه المشكلة علي مصر حيث يمكن ان يترتب علي زحزحة حزام الامطار نقص المياه التي تصل الي بحيرة تانا بالحبشة وهي البحيرة التي تتجمع بها معظم مياه الامطار المؤدية للفيضان حيث تغذي النهر بـ 86٪ من مياهه.

وفي اطار استغلال المخاوف من قلة المياه القادمة من اثيوبيا الي مجري النيل تحاول امريكا وبعض الدول الاوروبية تسويق فكرة اقامة مشروعات لتحلية مياه البحر لتوفير مياه الشرب لبعض الدول. لتشجيعها هذه الدول علي شراء اجهزة التحلية او لفت انتباهها للحفاظ علي المخزون من المياه الجوفية, وتلك هذه الصحيحات التحذيرية لا ترتكز على حقائق علمية قوية ولكنها – بحسب رأي سيادته- ترديد لما يردده العالم منذ 20عاما من الزمن .

واكد شرف الدين ان العالم كله مشغول منذ أكثر من قرن بقضية التغيرات المناخية وما يترتب عليها من آثار ومن بينها ذوبان أجزاء ضخمة من الغطاء الجليدى للأرض فى القطبين خاصة مما يؤدى إلى ارتفاع مستوى سطح محيطات الأرض وبحارها وهذا ينذر بغرق مساحات هائلة من اليابس يدخل فيها مدن ومراكز حضارية ضخمة وهو ما يمثل كارثة بكل المقاييس.

وأوضح الباحث المصرى ان

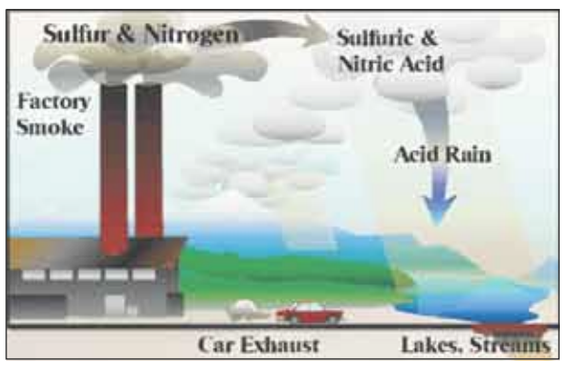

الارض تحترق والجليد يذوب

مخاوف اضافية على الدول النامية ان تتحسب لها خاصة فى ظل الارتفاع الرهيب للتكلفة الاقتصادية لمشروعات التحلية.

عند قوم فوائد!

واضح العلماء انه فى مقابل تلك الدول التي ستخسر من ارتفاع الحرارة ستستفيد 52 دولة نامية زراعيا من هذا الارتفاع الحراري , ومن هذة الدول الصين ودول آسيا الوسطي وكينيا وجنوب افريقيا ونصف دول أمريكا الاتينية .ووفقا لدراسة حديثة لمعهد ماكس بلانك الالماني للأبحاث فأن دولا مثل روسيا وكندا وفنلندا والنرويج ستسفيد من الاحتباس الحراري بزراعة المناطق الجليدية حاليا , غير ان دولا كبري فى انتاج الحبوب مثل الولايات المتحدة الأمريكية واوكرانيا وفرنسا واستراليا وبريطانيا ستعاني من الجفاف ,وقد حذر علماء استراليون من ان الجليد علي قمم الجبال الاسترالية الشاهقة قد بدأ بالفعل في الانحسار وربما تحول إلىمياه خلال سبعة عقود مقبلة, بفعل ارتفاع درجة حرارة الأرض وتطرف مناخ الكون.

الدلتا لن تغرق

على عكس الأراء السابقة أكد الدكتور سيد شرف الدين استاذ علوم البحار والطبيعة بجامعة الأسكندرية ان دلتا نهر النيل لن تغرق خلال الخمسين سنة المقبلة كما يشاع وان التغيرات الكونية لا تحدث فجأة أو فى مدى قصير بل أن الطبيعة تعمل على مهل ويستغرق التغيير زمنا طويلا والأهم من هذا ان فريقا من علماء البيئة والمناخ لهم رأى معاكس ومخالف تماما إذ يعتقدون أن الأرض مقبلة على عصر جليدى جديد

إذن ليس هناك إجماع من العلماء على تصور محدد ، وهذا ما يجعل العديد من الحكماء من العلماء يميلون إلى الرأى الثانى وعدم التسرع فى تبنى تصورات معينة ويرون أنه من الضرورى أن يتم تنشيط ودعم الأبحاث فى مختلف المجالات المتصلة بالمناخ الكونى والبيئة الأرضية للحصول على بيانات كافية لرسم صورة تعتمد عليها مراكز اتخاذ القرارات فى مختلف أنحاء العالم.

وطالب شرف الدين بانشاء قاعدة بيانات علمية حول الظواهر المناخية وتغيرات مستوى البحر على شواطئنا على مدى الخمسين سنة الماضية وهو ما يساعد على التنبؤ بالتغيرات المناخية المحتملة والارتفاع المتوقع فى سطح البحر خاصة انه قد تم جمع بيانات عن تغير سطح البحر فى مناطق متعددة من البحر المتوسط أمام دلتا نهر النيل خلا نصف القرن الماضى وخضعت هذة البيانات للتحليل على يد علماء متخصصون واكدت البيانات ان سواحلنا لن تغرق وان دلتا نهر النيل بخير ولن تغرق خلال الخمسين سنة المقبلة على عكس ما يشاع.

مجرد كلام

الرأى نفسه يؤيده وزير الرى العالم الدكتور محمود ابو زيد رئيس المجلس العالمى للمياه فقال التغييرات المناخية البعض يقول انها ستزيد المنسوب والبعض الاخر يؤكد العكس وكلاهما مخطئ خاصة انهم قالوا ايضا ان الدلتا سوف تغرق وده كله كلام فارغ وغير منطقي.

يعني لو وقفت علي كورنيش الاسكندرية وافترضت ان المنسوب سيرتفع 70 سم سوف تتأكد انه من المستحيل وصول المياه لمستوي ارتفاع الكورنيش وهذا كله كلام فارغ ومن يرددونه مخرفون.

و كما قلت ما فيش حاجة اسمها غرق الدلتا ولو ان هذا سيحدث فهو يحتاج الي الاف السنين بدليل ان وجود وادي الحيتان في الفيوم وعمره 42 مليون سنة وهو ما يعني ان مياه البحر كانت في هذه المنطقة قبل 42 مليون سنة ، وهذا يعني اننا نحتاج الي فترة لا تقل عن ذلك حتي يحدث ما تردده تلك الدراسات.

بوابة صناعية

وحول الحلول المقترحة لمواجهة هذه الكارثة قال الخبير الانشائى العالمي ممدوح حمزة أنه من الممكن أن يتم تنفيذ أحد مشروعين لمواجهة هذا الخطر المشروع الأول خاص بمصر وحدها والثانى يشمل الدول المطلة على حوض البحر المتوسط، أخذاً فى الاعتبار مصر هى أكثر الدول المطلة على المتوسط تعرضا للمخاطر بسبب عدم وجود دلتا أنهار مطلة على المتوسط سوى فى مصر.

وعن الحل الجماعي لدول المتوسط اقترح حمزة اشتراك تلك الدول فى مشروع إنشاء بوابة صناعية عائمة على مضيق جبل طارق تقلل من كميات المياه الداخلة إلى البحر المتوسط ، متوقعا أن يستغرق إنشاء تلك البوابة 10 : 15 عاماً وان تتكلف عدة مليارات من الدولارات.

أما عن الحل الداخلى فى مصر فقال أنه لا يمكن بناء حائط خرسانى ليصد المياه عن الشواطئ المصرية وحذر من أن هذا الحائط سيعد فقط المياه السطحية لكن المياه المتسربة من أسفل التربة ستتمكن من النفاذ وأيضاً إلى دلتا النيل نتيجة طبيعتها التى تسمح بمرور الماء وفقاً لنظرية الأوانى المستطرقة.

واقترح حمزة بدلا من ذلك إنشاء شاطئ جديد على الدلتا باستخدام التربة ورمال قاع البحر المغمورة أسفل مياه البحر المتوسط وإعادة ضخها على الشواطئ المصرية مما يزيد ارتفاعها لأعلى من مستوى البحر .بالإضافة إلى ذلك يتم بناء حائط من مادة البنتونيه أسفل التربة فى الدلتا لمنع تسرب مياه البحر من أسفل أراضيها.

وقدر تكلفة هذا الحل أيضا بعدة مليارات من الدولارات وقال من الممكن أن يتم فرض رسوم على من يستمتع بالشواطئ المصرية لتكوين صندوق يمول المشروع التى سيتم تنفيذه.

من جانبه أكد الدكتور عادل يحيى رئيس هيئة الاستشعار من البعد وعلوم الفضاء سابقا أن مياه البحر المتوسط من أسفل تربة دلتا النيل وصلت حتى مدينة طنطا.

وقال أنه ليس من الضرورى بناء هذا الحائط على طول الدلتا ولكن فى بعض المناطق فقط

وقال مراقبون اليوم إن معارضة الولايات المتحدة الأميركية وكندا واليابان قد تفشل الجهود الرامية لتضمين تخفيض الانبعاثات الغازية-المسببة للاحتباس الحراري- بـ"خريطة طريق" مستقبلية لمفاوضات تغير المناخ.

حواجز خرسانية

حل شبيه اقترحه الخبير الهندسي مصطفي عبد المنعم الشيمي حيث اقترح بناء حاجز خرساني ركامي أمام سواحل الدلتا يبدأ من دمياط وحتي الإسكندرية بارتفاع عدة امتار تحددها الدراسات فوق سطح الماء علي قاعدة ركامية من صخور خاصة مثل صخور جبل عتاقة بالسويس, المضادة للأملاح والتى لا تتجاوز مسافات كبيرة داخل البحر, وفي المناطق الأقل عمقا يمكن الاستعانة بخرائط تبين الاعماق المناسبة لهذا السد الركامي وهذا الخرائط متوافرة لدي(الجمعية الجغرافية الأمريكية nationalgeographic) وذلك للتوفير في مواد الردم ويمكن التنفيذ علي مراحل علي عدة سنوات, كل عام يتم التعامل مع عدد محدود من الكيلو مترات.

يضيف الشيمى قائلا: حتي اسهل الأمور أمامنا تجربة هولندا, حيث أخذت مساحة كبيرة من قاع بحر الشمال وأنشأت حاجزا يفصل بحر الشمال الشديد الأمواج عنها واستطاعت ان تزيد مساحتها الزراعية وابدعت في ذلك وتغلبت علي ملوحة البحر بطرق علمية, وصادراتها تزيد علي162 مليار يور وللعلم اسم هولندا الرسمي هو landneder يعني الاراضي الواطئة.

كذلك هناك تجربة جزيرة سنغافورة ذات المساحة الصغيرة زادت مساحتها بنسبة 25٪ من ردم جزر من بحر الصين الجنوبي برمال استوردتها من أندونيسيا.

اما خط الدفاع الثاني لإنقاذ الدلتا على حد قول الشيمى فى حالة تسرب أجزاء من مياه البحر إلي الدلتا ، فهناك الطريق الساحلي الدولي الذي اقيم حديثا, والذي يبدأ من السلوم الي العريش وهو بطول أكثر من ألف كيلو متر, وقريب من البحر وموازٍ له, وقد اقيم علي احدث تكنولوجيا إنشاء الطرق ليتحمل الطريق اوزانا أكثر من مائة طن, وما يتطلب ذلك من إنشاء خوازيق عميقة جدا تتجاوز اعماقها طول الطريق ليتحمل الطريق أي أوزان تخترق بحيرات مصر العظمي, وهي مربوط وإدكو والبرلس والمنزلة وبذلك يستخدم هذا الطريق كحاجز حماية للدلتا.

ربما يرد المعترضون علي هذا المشروع الذي لابد من تنفيذه لإنقاذ الدلتا كيف سنصرف الزيادة في نهر النيل في مواسم الفيضانات العالية ـ اقول سيتم عمل محطتين رفع عملاقتين في مصبي نهر النيل في دمياط ورشيد تعملان في رفع المياه الزائدة عند الضرورة وحاليا توجد محطة رفع عملاقة في غرب مدينة الإسكندرية في المكس تقوم برفع مليون متر مكعب يوميا من مياه صرف الدلتا إلي البحر الأبيض, وحتي لا تغرق الدلتا في مياه الصرف الزراعي.

تكلفة هذا المشروع ستكون مرتفعة جدا مليارات الدولارات وهو مشروع مضطرين لتنفيذه لإنقاذ امن وحضارة عاشت آلاف السنين وستعيش مثلهما إن شاء الله وكذلك إنقاذ مشروعاتنا البترولية العملاقة في إدكو ورشيد وبورسعيد ومحطات توليد الطاقة(كهرباء ابو قير).

مجرد أفكار ومقترحات مهمة وخطيرة خطورة القول إن الاحتباس الحرارى مجرد افتراض وغرق الدلتا افتراض لن يحدث ولو حدث فلن يحدث قبل مضى آلاف السنين ن وأمام حالة الاختلاف هذه بين أراء العلماء نرجو ان يكون اختلافهم رحمة وألا نفيق على الكارثة أو نتحرك كعادتنا إلابعد فوات الأوان .

بكل الاتجاهات

الفايد: العائلة الملكية في بريطانيا كانت تريد التخلص من ديانا

محمد الفايد لدى وصوله لحضور تحقيق في مقتل الاميرة ديانا

لندن /14أكتوبر/ رويترز:

قال مالك سلسلة متاجر بريطانية فاخرة محمد الفايد إن وفاة الأميرة ديانا ونجله دودي (عماد) في تحطم سيارة في باريس عام 1997 كان جريمة قتل واتهم العائلة الملكية في بريطانيا بالرغبة في التخلص من ديانا.

وفي إفادة مؤثرة في التحقيق في مقتلهما اتهم الفايد الأمير فيليب زوج الملكة إليزابيث ووالد زوج ديانا السابق بأنه «نازي» و «عنصري».

وقال الفايد أمام المحكمة «هل تعرفون اسمه الأصلي - انه ينتهي بفرانكنشتاين.»

وقال إن ديانا التي طلقت من ولي العهد الأمير تشارلز «عانت لمدة عشرين عاماً من عائلة دراكولا هذه.»

وبعد انتظاره لأكثر من عشر سنوات لمثل هذا اليوم في المحكمة ترقرق الدمع في عيني الفايد واهتز رأسه واخرج منديلا من جيبه وقد أصبح صوته أجش.

ويزعم إمبراطور المال المصري المولد إن أجهزة الأمن البريطانية قتلت ديانا بناء على أوامر من الأمير فيليب.

وخلصت تحقيقات الشرطة الفرنسية والبريطانية إلى إن وفاة ديانا ودودي كانت حادثا مأساويا سببه إن قائد السيارة الذي كان يقود بسرعة كبيرة كان ثملا. ورفض كل من التحقيقين نظريات الفايد بوجود تآمر.

وقال الفايد عن الزوج السابق لديانا الأمير تشارلز «لقد شارك وأنني على يقين انه كان يعرف ما سيحدث.»

وقال إن ذلك «بسبب انه كان يرغب في المضي قدما والزواج من كاميلا وهو ما حدث... لقد قضوا عليها قتلوها.»

علماء استراليون يقتنصون مخلوقات بحرية عملاقة من مياه القطب الجنوبي

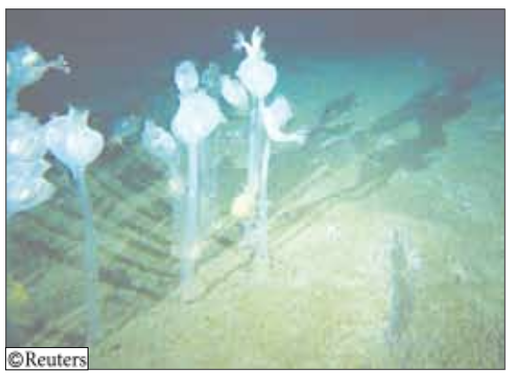

كائنات بحرية تعرف باسم الزقيات في مياه القطب الجنوبي على عمق 220متراً

سيدني /14أكتوبر/ رويترز:

صور علماء يدرسون مياه القطب الجنوبي مخلوقات بحرية عملاقة وأسروها وعناكب بحرية في حجم أطباق الطعام وأسماكا هلامية لديها قرون استشعار طولها 6 أمتار.

فقد عاد أسطول يضم ثلاث سفن للبحوث البحرية إلى استراليا هذا الأسبوع في ختام بعثة صيفية إلى المحيط الجنوبي حيث أجرى مسحا للحياة البحرية في المحيط الجليدي وفي قاعه على بعد أكثر من ألف متر تحت سطح البحر.

وقال العالم الاسترالي مارتن ريدلي قائد الرحلة على سفينة البحوث « اورورا استراليس» أمس الثلاثاء «المخلوقات العملاقة أمر شائع جدا في المياه القطبية الجنوبية - وجمعنا ديدانا ضخمة وقشريات عملاقة وعناكب بحرية في حجم أطباق الطعام.»

وقال ريدلي لإذاعة محلية «الكثير يعيش في الظلام ويتسم بأعين كبيرة إلى حد كبير. إنها اسماك تبدو غريبة.»

وأوضح إن «بعض اللقطات المصورة التي جمعناها مدهشة حقا من المدهش إن يكون بوسعك الإبحار تحت البحر والجبال والوديان وترى بالفعل ما تبدو عليه الحيوانات وهي على حالتها دون إزعاج.»

وستساعد مهمة القسم القطبي الجنوبي الاسترالية العلماء على مراقبة كيف إن أثر التغير البيئي في المياه القطبية الجنوبية مثل التحمض الذي ينجم عن ارتفاع مستويات ثاني أكسيد الكربون سيجعل من الأكثر صعوبة على الكائنات البحرية النمو والمحافظة على هياكلها من كربونات الكالسيوم.

مع الأحداث

د.خالد الحروب

«تقديس» الحِجاب وسيادة «العقل المُجلبب»

«العقل المُجلبب» هو أقصى تعبيرات تطرف «العقل المؤدلج». إن كان «العقل المؤدلج» يصدر عن لائحة صارمة وطوباوية من التصورات والحتميات للكون والبشر والحياة والسلوكيات, تقود في مآلاتها الأخيرة إلى نهايات تدميرية بسبب علاقتها المتعجرفة مع الواقع, فإن «العقل المُجلبب» هو أقصى تطرف لـ«العقل المؤدلج», لأنه ينحدر إلى الوقوع في «جلباب» بند واحد من اللائحة الأيديولوجية الأصلية.

وبدل أن يرى «العقل المُجلبب» هذا «البند», حتى من زاوية منطلقاته الأيديولوجية الشمولية ذاتها, كجزء من كل, فإنه يضخم ليصبح الكل كله, وليصبح بوابة الأيديولوجيا المعنية, وساحتها, ركنها الركين و«هويتها» الأساسية.

في «قضية» النقاش حول الحجاب, سواء في تركيا أو بقية المجتمعات العربية والإسلامية يتمظهر «العقل المُجلبب» في شكلين متناقضين بشكل مدهش: العقل الذي يقدس الحجاب ويرقيه إلى درجة يكاد يصبح فيها أحد أركان الإسلام, والعقل الذي يخافه ويخشاه ويسن القوانين لحظره وكأنه أحد منتجات السلاح النووي. ربما لم يحدث وأن تضخم زي ما من الأزياء ليصبح «رمزاً للهوية» كما تضخم الحجاب في راهن التفكير الإسلامي الأصولي المعاصر. كما ربما لم يحدث أن تحول زي من الأزياء ليثير حساسيات وتوترات التفكير العلماني الأصولي كما هو حاصل اليوم مع الحجاب في أكثر من بقعة من بقاع العالم. والمتهم الأساسي في الحالتين هو هذا «العقل المُجلبب» الذي صعد نجمه في العقود الأخيرة وزاحم «العقل المؤدلج» ذاته في ضيق أفقه ومحدودية أطروحاته, وانحدر بنا إلى فرعيات أصبحت هي الأجندات الأساسية.

«أيها الحجاب... يا دمعة الزمان وصرخة الأجرام.. يا زينة المرأة في السماء.. يا شعار الخالدين والراحلين». لا نعرف طبعاً ماذا يقصد الكاتب.

وكما الحال في كل مناكفة بين أي عقلين مُجلببين فإن استحكام الاستعداء بينهما لا يمنع عملياً التقاءهما على ذات المربع (اللا)معرفي الذي يوحدهما على رغم ضراوة «المعركة» حول «القضية المعنية». ميدان اللقاء بين العقلين المُجلببين هذه المرة هو «منح» الحجاب هذه المركزية الهائلة, وتحميله طاقة رمزية لا يمكن إلا أن تكون تدميرية لما سواها من معايير وقيم معرفية سواء أكانت خاصة بمنطلقات المدافعين عن الحجاب أو معارضيه. وهنا, وفي سياق «المعركة» المفتعلة الكبيرة يصير السماح بارتداء الحجاب, في نظر معارضيه, هزيمة فكرية وسياسية وسيادية مدوية, ويصير حظره أو انتقاده في نظر مؤيديه هزيمة فكرية وسياسية وسيادية ليس لهم فحسب بل و«للأمة وشعوبها وحضاراتها وعزتها» وإلى آخره من الكلمات الكبيرة التي تستخدم هنا باستسهال مفرط.

ليست مناسبة هذه السطور هي ما صدر عن البرلمان التركي من قرار يلغي قرارات سابقة كانت قد حظرت ارتداء الحجاب في الجامعات التركية, وهو حظر سخيف كان قد صدر عن «عقل مجلبب» وتعدى على أوليات الحرية الفردية وعكس روح الجانب العسكرتاري من الأتاتوركية، وهو جانب ظل دوماً واهي الصلة بالجوهر العلماني لفكرة الحرية وفصل الدين عن الدولة. لكن المناسبة هنا هي سيل البكائيات الكتابية والتمجيد وإعادة خلع «القداسات» المتنوعة على «الحجاب», مما قام ولا يزال يقوم به «العقل المُجلبب» المدافع عن الحجاب, وبحيث صارت تُختزل «الأمة» بـ«حجابها» كما ورد ويرد في كثير من التعليقات والكتابات, وعلى منوال المثال الذي ستشير إليه هذه المقالة:

يعنون أحد المُعلقين المشدوهين بـ«قداسة» الحجاب مقالة حديثة له بعنوان «في حضرة الحجاب», وهو اقتباس كاريكاتوري غير موفق عن عنوان أحد الكتب الأخيرة للشاعر الفلسطيني محمود درويش «في حضرة الغياب». في كتاب درويش يبرز أكثر ما يبرز «العقل والخيال المفتوح», على عكس محدودية وقِصر نظر «العقل والخيال المُجلبب» في المقالة التي ستصدمنا بكل جملة فيها. يُطلق «العقل المُجلبب» في المقالة عملية «صوفية» يخلع فيها على الحجاب أوصافاً علوية وفوق علوية مدهشة حقاً. يقول في الوصف: «يكف اللسان عن الكلام، ويعلن صمته للأنام، تقديراً واحتراماً للحجاب... أيها الحجاب يا دمعة الزمان وصرخة الأجرام في الآفاق.. يا زينة المرأة في السماء، وجمال الكون في قممه الشماء.. يا شعار الخالدين والراحلين عن الحياة والزمان..».

لا نعرف طبعاً وبالضبط ماذا يقصد الكاتب بالتأوهات الكبيرة مثل مناجاة الحجاب بـ«دمعة الزمان» أو «صرخة الأجرام في الآفاق»، أو اعتبار الحجاب «جمال الكون في قممه الشماء» أو «شعار الخالدين والراحلين عن الحياة والزمان». لكن يظل من حق الكاتب بطبيعة الحال أن يرصف كلاماً إنشائياً تبجيلياً بالطريقة التي يشاء إزاء الموضوع أو القيمة أو الفكرة التي يشاء.

لكن من حقنا أيضاً, كقراء على الأقل, أن نشعر بالقلق العميق من ناحية معرفية وفكرية بحتة إزاء منطلق التفكير والفلسفة التي تصدر عنها مثل هذه التعبيرات لأنها تتعدى الإنشاء الإنشادي إلى تسطير خلاصات حادة, إذ يتابع الكاتب قائلاً: «أيها الحجاب بك تَنعم الأمة وتسمو برونق أخلاقها، وتزهو القلوب في خلود طبيعتها.. معك مفاتيح الأمن والسلام.. معك الخير والأمان.. معك التضحية والعطاء.. معك التحدي والقوة والوقوف كالصخرة في وجه الأعداء». فهنا يتجسد «العقل المُجلبب» في أسوأ تجلياته حيث ينظر إلى الحجاب كآلة سحرية تحقق المستحيلات, فبه «تنعم الأمة» (كيف؟) و«تسمو», و«تزهو القلوب في خلود طبيعتها», والأدهى من ذلك أن الحجاب معه «مفاتيح الأمن والسلام», و...., و...., ومعه «التحدي والقوة والوقوف كالصخرة في وجه الأعداء». يصبح «بند» الحجاب في الأجندة الإسلاموية المؤدلجة هو الأجندة كلها, يلتهمها عن بكرة أبيها, فلا يعود «العدل» أو «الإحسان» الذي يمكن أن «تنعم الأمة به وتسمو», ولا يعود الأمر منوطاً بـ«الجيش الإسلامي», مثلاً, لإظهار «التحدي والقوة ليقف كصخرة في وجه الأعداء», بل إنه ذلك البند الجبار «الحجاب» الذي كان فرعياً ثم كبر وتضخم وصار منوطاً به القيام بمهمات ستصرعه على الفور لثقلها واتساعها عن قدرته.

بيد أن الأمر لا ينتهي هنا, إذ ثمة امتدادات خَلاصية أخرى يُضاعف بها «العقل المُجلبب» من «القداسة المزيفة» التي يمنحها للحجاب, وعبرها يصل الكاتب إلى الخلاصة النهائية الحاسمة القاطعة التي تربط «مجد الأمة وشرفها وعزتها» بالحجاب, فيقول: «فبوابة تدمير المجتمع المرأة, وبوابة تدمير المرأة حجابها وعفتها... فإذا خلعت المرأة حجابها.. خلعت عن الأمة شرفها ورمز عزتها». أولى الخلاصات الصادمة هنا هي التأكيد على أن «المرأة بوابة تدمير المجتمع» وهي مقولة صيغت كجملة اعتراضية مسلم بها, (وماذا عن الرجل مثلاً, هل هو بوابة بناء المجتمع أبداً ودائماً؟). لكن المرأة هنا ليست سوى حامل لـ«الحجاب» الذي هو الأيقونة الأهم والمقدس الكبير. لا الفقر المدقع, ولا الظلم الفاحش, ولا الطغيان المتغول, ولا الأمية أو التخلف في كل مجالات الحياة قد يكون «بوابة» لتدمير المجتمع, بل المرأة ونقطة آخر السطر. والحل الوحيد الأوحد لسد بوابة التدمير هذه هو الحجاب, الذي به يتم الحفاظ على «شرف المرأة», ثم بالتالي «شرف الأمة», وتحويلها من «بوابة للتدمير» إلى «بوابة للنصر». وهكذا يتم اختزال «الأمة» وقيامها وقعودها في «الحجاب» الذي إن لبسته المرأة فإنها قامت بالعملية التاريخية المنتظرة في إنقاذ الأمة, وإن خلعته فإن تلك «الأمة» ليس لها إلا العار, بعد أن تكون قد خلعت مع ذلك الحجاب «الشرف ورمز العزة»! وما يُقلق هنا ليس المقالة المُشار إليها تحديداً أو كاتبها, فهي سيقت كمثال وحسب, بل المناخ الذي تصدر فيه وتعبر عنه, وحيث «العقل المُجلبب» يُعلي ويُخفض ما يشاء من الفرعيات ويمنحها مركزيات لا تستحقها, وهو قادر على جر وجرجرة «جماهير» و«شوارع» وراءه في عملية صراخية غرائزية لم تعد تنتمي حتى للعقل المؤدلج القاصر أصلاً, فضلاً عن أن تقترب من «العقل المعقلن».

عن / (الاتحاد) الاماراتية

البيئة والسياسة .. !!

محمد مرشد الأهدل

20 فبراير، اليوم الوطني للبيئة .. ويأتي احتفال بلادنا انطلاقاً من إيلاء هذا الجانب أهمية كبرى تعكس اهتمام الدولة بسلامة البيئة والعلاقة بين التنمية والهيئة .. ولتأكيد ذلك فقد انضمت اليمن إلى العديد من الاتفاقيات الدولية بهدف حماية البيئة الاستفادة من الخبرات العالمية والاقليمية على وجه الخصوص في مواجهة مشاكل والبيئة والتنمية ويأتي "اليوم الوطني للبيئة" في وقت يتزايد فيه القلق يوماً عن يوم نتيجة الإضرار بالبيئة عموماً وانعكس ذلك على الحياة الخاصة والعامة ..

هذه الإضرار الناجمة عن الأخطاء المرتكبة في كثير من الأوقات نتيجة الترجمة المغلوطة أو غير السليمة للسياسة وخاصة ما يتعلق بجوانب التنمية، وهو الأمر الذي يضر بالحياة عموماً .. الأرض، البشر، الطير، الشجر، الجبال، الماء .. وكل خطأ عمد أو بغير عمد يدمر ما وهبنا إلّه من نعمة الثروة على اليابسة والجبال والبحار.

وبحسب البحوث العلمية، فإن التنوع الحيوي الفريد الذي تتميز به اليمن "وجود أكثر من ثلاثة آلاف نوع نباتي منها 10٪ مستوطن، بالإضافة إلى ان البيئات اليمنية تأوي العديد من الحيوانات البرية والكائنات البحرية، منها ماهو مستوطن، وهذا النوع يتعرض للتدهور وفق ما ذكرته تقارير وابحاث من متخصصين، حيث يذكر دائماً في كل لقاء او ورشة عمل بهذا الخصوص بأن الغطاء النباتي يتعرض للاستخدام المفرط الناتج عن القطع العشوائي والرعي الجائر .. واصبح العديد من الحيوانات البرية مهددة بالإنقراض.

ايضاً تشير البحوث إلى أن التنوع الحيوي لليمن يتعرض للتدهور السريع جراء ما تتعرض له المناطق الساحلية التي تكتسب أهمية بالغة سواءً للثروة السمكية أو التنوع الأحيائي من نمو سريع غير مخطط للنشاط الاقتصادي والتنموي .. بالإضافة إلى البناء العشوائي وغير ذلك من الأعمدة التي لاتتقيد بالقوانين النافذة ولاتخضع لدراسة تقييم الأثر البيئي.

وهذه الأعمال المخلة بالبيئة والتنوع الحيوي، تتعرض لها المناطق الحساسة بيئياً في محافظة "عدن" والشواطئ والجزر البحرية ومواقع الشباب المرجانية ومناطق الصيد التقليدي وأماكن تصريف السيول والأراضي الرطبة.

وخلاصة القول أن العمل والاهتمام بالجانب البيئي إذا كان قد اخذ حيزاً في الفترة السابقة فإن المؤشرات تؤكد أهمية مضاعفة هذا الاهتمام بعيداً عن التنفيذ غير العلمي لواقع السياسة التنموية وكذا العمل للارتقاء بمخرجات العمل المؤسسي لجهات التنمية وحماية البيئة ومعايشة التطورات والمتغيرات في الجانب البيئي وطنياً واقليمياً ودولياً، بهدف ضمان البيئة المستدامة وحماية الموارد الطبيعية واستغلالها عقلانياً للحفاظ على مصالح الأجيال في الحاضر والمستقبل.